مجلة كلية الدعوة الإسلامية

مجلة إسلامية - ثقافية - جامعة - محكمة

العدد العاشر
1993م.

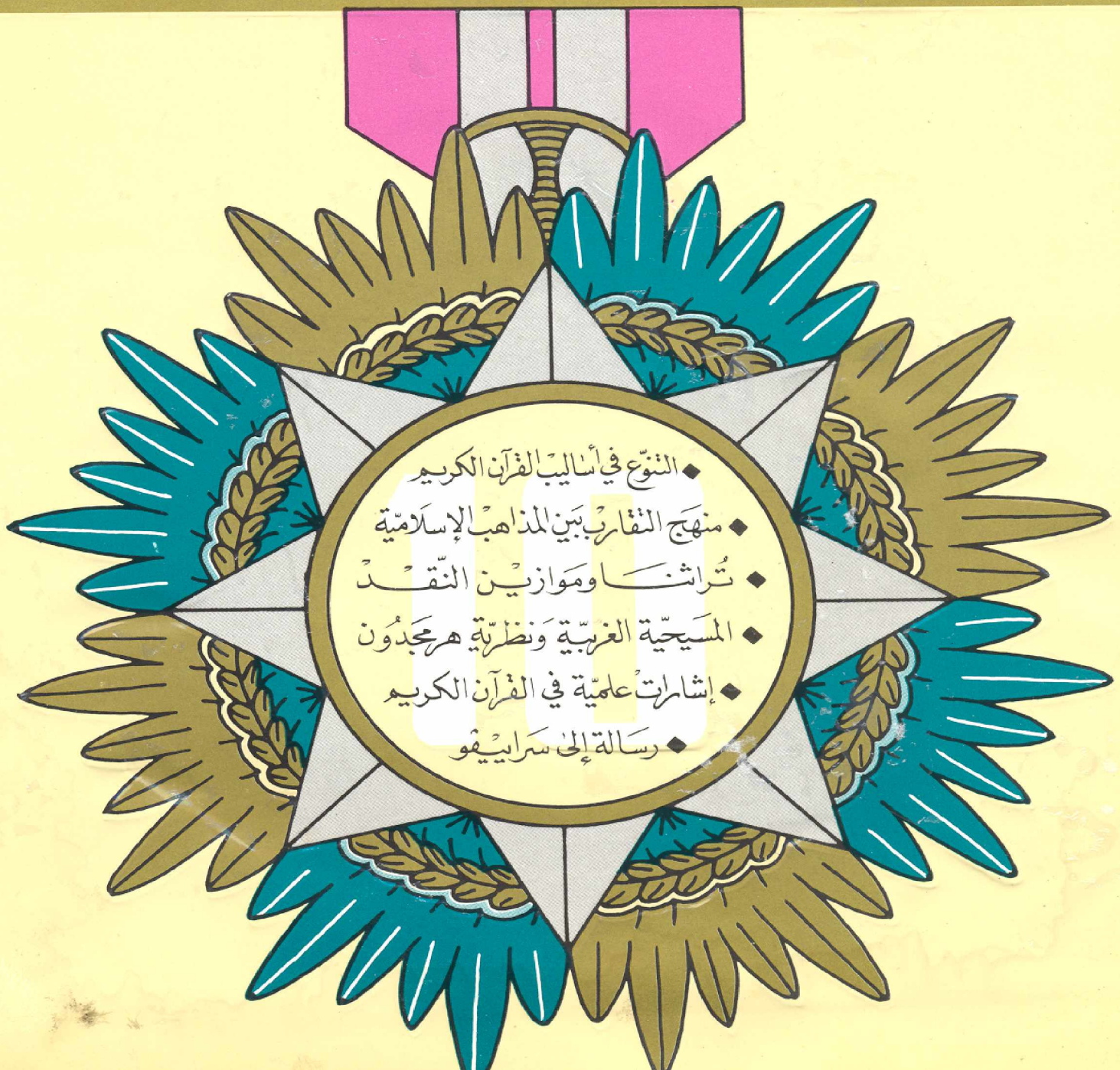

- التنوع في أساليب القرآن الكريم
- منهج التقارب بين المذاهب الإسلامية
- تراثنا وموازين النقد
- المسيحية الغربية ونظرية هرمجدون
- إشارات علمية في القرآن الكريم
- رسالة إلى سراييفو

أين هي سدودنا من سدّ ذي القرنين؟

الدكتور نصر عطواني
دمشق - سورية

فرض السلام على محبي العدوان

السدّ المذكور في سورة الكهف الذي بناه ذو القرنين، هو سدٌّ عظيم في ذاته وفي صناعته وفنّه، ولكن الأعظم من كل ذلك هو الغرض الذي بناه صاحبه من أجله، غرض توفير الدفاع والأمن للقوم القاطنين إلى الجنوب من موقع السدّ. كان بناء ذي القرنين للسدّ تتويجاً لحملته الثلاثية المراحل، التي وصل فيها إلى أقاصي الغرب المعروف في ذلك الزمان، ثم إلى أقاصي الشرق، ثم إلى أقاصي الشمال. وأما الغرض النبيل الذي كان من وراء البناء العظيم فإنّ الله تعالى قد شاء أن يخلّده حتى آخر الزمان بإثباته له في القرآن الكريم الخالد: ﴿**قالوا يا ذا القرنين إنّ يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض فهلْ نجعلُ لك خرجاً على أن تجعلَ بيننا وبينهم سداً؟ قال ما مكنّي فيه ربي خيرٌ فأعينوني بقوةٍ أجعلْ بينكم وبينهم ردْماً**﴾ [سورة الكهف/95 - 96]. فالغرض منه هو فرض السلام على قوم يأجوج ومأجوج الهمج

بالقوة الدِّفاعية الفاعلة، وقمع شهوة العدوان التي تحرّك نفوسهم. ومن المنطقي أن نفهم أنّ هذا الغرض النبيل العظيمَ الشأن لا يكفي لتحقيقه بناء سدٍّ هندسي قائم بين حاجزَيْن جبليين، مهما كانت درجة قوّته وارتفاعه، لأن المعتدين الطامعين يجدون عاجلاً أو آجلاً طريقة للتقليل من تأثيره في تحرّكاتهم العدوانية، مثل طريقة الالتفاف حوله من اليمين أو من اليسار، وأنّ ذا القرنين وجماعة المؤمنين التي كان يقودها اعتمدوا على مجموعة من السدود المعنوية الاجتماعية والسيكولوجية والسياسية اللازمة لهذا الغرض، وأنّ السدّ المادّي الذي قال عنه ذو القرنين «هذا رحمةٌ من ربّي» بناءً على تأديته لهذه الوظيفة، كان رمزاً لتلك المجموعة المتكاملة من السدود المادّية والمعنوية التي تشمل «سدّ» القوّة العسكرية، و«سدّ» إقامة الدين في المجتمع وإقامة العدل و«سد» وحدة الشعب وتماسكه، و«سدّ» العواطف الإيجابية التي تحرّك نفوس أبناء الشعب نحو امتلاك القوة الروحية، ونحو صنع الإنجازات الكبيرة من كل نوع.

العبرة من سدّ ذي القرنين

إن من الواضح أنّ سد ذي القرنين في سورة الكهف هو رمزٌ لكل عمل أو تنظيم أو نشاط تقوم به الأمة الإسلامية من أجل صدّ عدوان المعتدين عليها من الخارج. ومن الواضح أيضاً أن كل رمزٍ يوضع في القرآن الكريم يُقصد به إعطاء العبرة المفيدة. والعِبر في القرآن الكريم كثيرة، بعضها يذّكرنا بالنِعم وبعضها الآخر يذكّرنا بالنِقم، واللّهُ سبحانه يقول: ﴿**لقد كان في قَصصهم عبرةٌ لأولي الألباب**﴾[سورة يوسف/111]. وكلنا نعرف أن استيعاب العقل العربي والإسلامي الجمعي لعبر القرآن الكريم صار يَضْعف شيئاً فشيئاً في مراحل التاريخ التي جاءت بعد أربعمئة سنة تقريباً من بعثة محمد ﷺ، بما في ذلك العبرة التي تتضمنها قصة إنشاء سدّ ذي القرنين، لأن حب الدنيا راح يتمكن من نفوسهم شيئاً فشيئاً، وطفق يتغلب على شجاعتهم وعلى صبرهم على المكاره. وإنّ المسلمين لا ينصرهم الله عندما يكونون في حالٍ يريدون فيه الدنيا أكثر مما يريدون الآخرة. وهكذا فإنهم عندما نسوا العبرة التي تتضمنها قصة ذي القرنين ومثيلاتها من العِبر القرآنية، أغفلوا

واجب الحفاظ على وحدتهم وعلى قوّتهم العسكرية وغير العسكرية وعلى استقامة نفوسهم، فلم يستطيعوا وهم على تلك الحال أن يصمدوا أمام الغزوات المشابهة لهجمات يأجوج ومأجوج، تلك الغزوات المتعاقبة التي اجتاحت أرضهم، بدءاً من الحروب الصليبية، التي كان من بينها أيضاً غزوات المغول والتتار، ثم الأمم الغربية الاستعمارية، وأخيراً غزوة الصهيونيين المتحالفين مع الإمبرياليين الصليبيين الجدد.

إنّ العبرة العظيمة الشأن التي يجب علينا أن نأخذها اليوم من قصة سدّ ذي القرنين، ومن تاريخ الغزوات الهمجية التي تعرّض لها العالم الإسلامي بعدما أغفل درس سد ذي القرنين القرآني هي أنّ الاعتداءات الخارجية لا يمكننا أن نصدّها ونكبت مدبّريها ومرتكبيها إلاّ ببناء سدود الدفاع القويّ التي ذكرتُ خمسةً من أنواعها في نهاية الفقرة الأولى من هذه المقالة، إنّ هذه الغارات العدوانية، سواء منها ما ابتلانا الله تعالى بها في الماضي في القرون التسعة الأخيرة، وما كان منها الآن في بداية الزحف علينا بنية تدمير كل شيءٍ في حياتنا وإحلال شذّاذ الآفاق الصهاينة محلّنا، لها طبيعةٌ مشتركة تتلخص في كونها حركات تاريخية فظيعة تتكرر من حين إلى حين، وتجيء بغتةً إذا لم نُبق عقولنا مفتوحة وبصيرتنا متيقظة لرصدها. وهذه الطبيعة تستلزم من أمّتنا الحذر الدائم: ﴿**يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم فانفروا ثُباتٍ أو انفروا جميعاً**﴾ [سورة النساء/70]، ويشمل هذا الحذر إعداد القوة سلفاً، لكي نكون على أهبة الاستعداد للتصدّي للاعتداءات فور ظهورها، ولقهر جميع المشاركين فيها ضدّنا من غير أي تأجيل أو تسويف. إن سبب ضخامة حجم التدمير والهلاك اللذين نزلا بأمتنا بفعل الغزوات اليأجوجية المأجوجية الماضية التي سلف ذكرها، هو نوم العقول وخبالها الذي حال دون بناء السدود السياسية والسيكولوجية والاجتماعية والعسكرية لمواجهتها بها. فلو أن العرب تخلّصوا، مثلاً، في كل مرّة من تلك المرّات، من داء تجزّؤ وطنهم وتفرّق جماعتهم لأخفقت غزوات يأجوج ومأجوج السابقة، ولسُحقت الغزوة اليأجوجية الصهيونية الصليبية الحاليّة في بدايتها في منتصف القرن الحالي، لأنّ العرب عندهم كل أسباب القوّة التي تضمن لهم النصر بعون الله. وأما منشأ داء تجزّؤ

الوطن العربي الواحد وتفرّق الأمة الإسلامية الواحدة فهو التخاذل في ردع عددٍ من هواة التسلّط، الذين يريد كل واحدٍ منهم أن يستقلّ بشر ذمة من الأمة عن كيانها العام الواحد الذي أوجده الله أصلاً. فالويل للأمة إذا لم تأخذ العبرة عاجلاً من هذا التاريخ الذي بلغ طوله تسعة قرون، وإذا لم تداوِ مرض ضعفها الناشيء عن تفرّق شملها وعن تقطّع أوصالها.

سدّ إقامة الدين

كثيرة هي أنواع السدود التي يجب أن تقوم في وجه عدوان يأجوج ومأجوج في كل العصور، وكل نوع منها يقوّي الأنواع الأخرى ويساندها. والسدّ الكبير الذي يحتوي كل السدود الأخرى ويعطي كلّ واحد منها قيمته، ويمدّها بالقوة الروحية في أدائها لوظيفة مجابهة العدوان حتى النصر عليه هو «سدّ» إقامة الدين في بلاد المسلمين إقامةً فعليةً وفي العمق، وليس نفاقاً ورياءً ولا بكيفيةٍ سطحية. قال الله عزّ وجل: ﴿**شرع لكم من الدين ما وصّى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصّينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرّقوا فيه**﴾ [سورة الشورى/13]. إنّ إقامة الدين لله تعالى ضرورةٌ قصوى، لأنها السبيل إلى بناء وحدة من جميع المسلمين، وإلى جعل هؤلاء المتوحّدين في إطارها يشكلون سدًّا منيعاً في وجه كل الطامعين والمعتدين. أما تفرّق المسلمين إلى شيع وأحزاب وتقطّعهم إلى دول منفصلة فهو دليل قاطع على نفاقهم في تعاملهم مع الدين الإسلامي. وإقامة الدين ضرورية أيضاً لأنها الوسيلة الوحيدة لجعل نور الله دون سواه هو النور الذي يهدي جماعة المسلمين على طريق الحياة ويوصلها دائماً إلى الحق والخير والنصر والفلاح، قال الله سبحانه: ﴿**قلْ إنّ هُدَى الله هو الهدى، وأُمِرْنا لنسلم لربّ العالمين**﴾ [سورة الأنعام/71].

إن إقامة الدين الإسلامي تعني العمل بأحكامه التي شرعها الله تعالى عملاً حقيقياً مستمراً، من غير خلاف أو اضطراب في الأمور الكبرى المتعلقة بثباته واستقراره وعزته ووحدة أتباعه وصون كرامتهم واستقلالهم، وجهادهم جميعاً من أجل حماية وطنهم من دنس الاحتلال، ومن تأثير النفوذ الأجنبي فيه، بعيداً عن

الادّعاء والرياء وحبّ الظهور. إن العمل الفعلي المستمر بهذه الأحكام الأساسية ضروري لأن أعداء الدين الكثيرين يعملون بالسرّ والعلن في محاربته ومن أجل القضاء عليه. قال الله سبحانه عن هذه المحاربة: ﴿**يريدون أن يُطفئوا نورَ الله بأفواههم، ويأبى الله إلاّ أن يتمّ نوره ولو كره الكافرون**﴾ [سورة التوبة/33]. إنّ أعداء الدين يحاربونه بوسائل كثيرة، من بينها إثارة الأهواء في نفوس المسلمين وبثّ الشكوك في عقولهم. وهذه الشكوك لا يزيلها شيءٌ مثلما تزيلها الأعمال الإيجابية الكبيرة التي ينجزها الأفراد أنفسهم، والأعمال الإيجابية الكبيرة التي ينجزها المجتمع الصغير والمجتمع الكبير في ديار الأمة الإسلامية، ولذلك فإن رسول الله ﷺ قال: «بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً، يبيع دينه بعَرَض من الدنيا» (رواه مسلم).

إن الذي يقبل بأن «يبيع دينه بعَرَضٍ من الدنيا» ليس مسلماً حقيقياً، لأنه هذه الصفة لا تتفق مع أي دوْرٍ يمكن أن يساهم به في الدفاع عن عزّة الإسلام وأهله، وفي حماية الوطن ضد أعداء الدين. وبناءً على ذلك فإن الأعداء قرروا بُعَيد فشل الحروب الصليبية في الإبقاء على احتلالهم لأرض الإسلام أن يتّخذوا من التبشير المسيحي وسيلةً لبثّ الوهن في أرواح المسلمين ولإبعادهم عن دينهم عن طريق إدخال الحب الزائد للدنيا إلى نفوسهم، كما قال حينذاك أوّل المبشرين واسمه ريمون لول: إنّ المسيحيين في الغرب يعرفون أنهم قد باعوا لحومهم لليهود، وهم يريدون اليوم بالتعاون مع الصهيونيين أن يحْملوا المنافقين من المسلمين على بيع لحومهم وشرف الأمة الإسلامية لعملاء اليهود من قادة الغرب لقاء متع دنيوية مفسدةٍ يُغرونهم بها. وكفى خصلة حبّ الدنيا إفساداً أنها كادت اليوم أن تعطّل فريضة الجهاد التي فرضها الله تعالى على المسلمين في كل الأزمان من أجل مناهضة مخططات المشركين ومؤامراتهم ضدّ الإسلام وأهله. قال الله عزّ وجلّ: ﴿**يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثّاقلتم إلى الأرض، أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة؟ فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلاّ قليل. إلاّ تنفروا يعذّبْكم عذاباً أليماً ويستبدلْ قوماً غيرَكم ولا تضرّوه شيئاً، والله**

على كل شيءٍ قدير﴾ [سورة التوبة/39 - 40]. كان المسلمون الأوائل يفهمون هذا الدرس الذي تكرّر عشرات المرّات في القرآن الكريم عن التأثير السلبي المدمِّر لحب الدنيا على روح الجهاد، وكانوا يطبقونه على أنفسهم في حروبهم تطبيقاً دقيقاً وصارماً. فقد جاء فيما كتبه عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، إلى عمرو بن العاص قائد الحملة ضد الرومان في أرض مصر، يستحثّه وجيشَه على الإسراع في فتحها: «وأما بعدُ، فقد عجبتُ لإبطائكم عن فتح مصر، تقاتلونهم منذ سنين، وما ذاك إلاّ لما أحدثتم وأحببتم من الدنيا ما أحبَّ عدوُّكم، وإنّ الله تعالى لا ينصر قوماً إلاّ بصدق نيّاتهم».

إنّ خصلة حبّ الدنيا هي النار التي أضرمها الإمبرياليون الغربيون وحلفاؤهم الصهيونيون، وجعلوا عدداً كبيراً من العملاء العرب والمسلمين يمضون وقتهم في الدوران، حولها رقصاً لأسيادهم الإمبرياليين الذين اتخذوهم من دون الله نداً وضداً فيما يخصّ الشؤون الكبرى المتصلة بالإدارة السياسية والاقتصادية لديار الإسلام. فقد أرضعوهم لبن حب الدنيا بدلاً عن حب الآخرة، فصار العملاء يطلبون العزّ بغير الذي وعد الله سبحانه المسلمين أن يعزّهم به من سبل، ولا سيما سبيل الجهاد، ولذلك فإنّ الله تعالى سوف يذلّهم ويذل الذين يتابعونهم على هذا الطريق الرخيص. إنّ قيادات الصهيونية العالمية هي التي رسمت هذا الطريق، وإن كان يبدو في الظاهر أن الذين يقودون ركب العملاء فوقه هم القادة السياسيون لبعض دول الغرب الإمبريالية. وإنّ العملاء باختيارهم طريق التبعية يتجاهلون تحذيرات الله تعالى للمسلمين من مكر الصهونيين ضدّهم وضدّ الدين الإسلامي، وهي تحذيرات تكرّرت كثيراً في القرآن الكريم. قال الله عزّ وجلّ: ﴿**يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردّوكم بعد إيمانكم كافرين، وكيف تكفرون وأنتم تُتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله، ومن يعتصمْ بالله فقد هُدي إلى صراط مستقيم**﴾ [سورة آل عمران/100 - 101]. إن العملاء في عصرنا الحاضر قد أنساهم حبُّ الدنيا أن يعتصموا بالله فيطيعوا أوامره المتعلقة بوجوب توحّد المسلمين ويُعدّوا القوة التي يجابهون بها الأعداء المعتدين. ولكنهم لا ينسون أن

يطيعوا أوامر قادة الدول المعادية للإسلام التي تفرض عليهم أن يتخاذلوا في هذه القضايا الجوهرية.

إن الخطورة البالغة لخصلة التبعية للأجانب الكفار في الشؤون المتعلقة بالسياسة العليا للأمة الإسلامية تعبّر عنها الآيات القرآنية الكثيرة التي تعرّف المسلمين الحقيقيين وتُميّزهم عن المنافقين على أساسٍ من الاستقلالية ومن التحرّر من ربقة المذلّة للكافرين. تقول آيتان من هذه الآيات الكثيرة في تعريف المسلمين الحقيقيين إنهم هم القوم الذين ﴿**يحبّهم ويحبّونه، أذلّةٍ على المؤمنين أعزّةٍ على الكافرين، يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله واسعٌ عليم**﴾ [سورة المائدة/54]. إنّ اتخاذ الاستقلالية والتحرر من نفوذ الكافرين أساساً لتعريف المسلمين الحقيقيين ضروري جداً، لأن تبع الأجانب الكافرين، كما تبيّن الآية الثانية، لا يستطيعون أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم من أجل ترقية الحياة في بلاد المسلمين، ولا يستطيعون أن يسخّروا طاقات الأمّة وقواها في خدمة المصالح العليا للمسلمين، وإنّما تفرض عليهم علاقةُ التبعية للأجانب أن يضعوا نُصبَ أعينهم خدمةَ المصالح العليا لأعداء الإسلام، وإنهم بهذا التوجّه يحاولون دائماً أن يظلّوا مذعنين لقوانين أولئك الأجانب، التي لا تحمي إلّا اللصوص، والتي تختلف عن قانون الإسلام. وهكذا فإنهم ينحرفون أكثر فأكثر عن شرع الإسلام، شرع الإيمان الذي لا نفاق فيه، والرجولة الحقيقية التي تحتقر الرخاوة.

وهكذا فإنّ هذا الانحراف الذي يسير العملاء في خطّه المرسوم باتجاه ريحٍ الإمبرياليين ووفق مصالحهم يجعل الحكم الشرعي الإسلامي على العملاء مماثلاً للحكم الذي نزل في القرآن الكريم على اليهود الذين دخلوا في الإسلام نفاقاً وخداعاً في عهد النبي ﷺ، من أجل أن يخرّبوا الإسلام من الداخل، في الوقت الذي كانوا يتواطأون فيه مع طواغيت الكفر على إحداث هذا التخريب وعلى إيقاف تقدّم الإسلام. قال الله عزّ وجلّ: ﴿**ألم ترَ إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أُنزل إليك وما أُنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلّهم ضلالاً بعيداً؟ وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل اللّهُ**

وإلى الرسول رأيتَ المنافقين يصدّون عنك صدوداً. فكيف إذا أصابتهم مصيبةٌ بما قدّمتْ أيديهم ثم جاؤوك يحلفون بالله إنْ أردنا إلاّ إحساناً وتوفيقاً؟﴾ [سورة النساء/59 - 61]. إنّ موقف عملاء العصر الحاضر العرب والمسلمين من المصلحة العليا العامة للأمة الإسلامية مماثلٌ لموقف المنافقين، الذين نزلت هذه الآيات في حقّهم في عهد الرسول ﷺ، لأن العملاء المعاصرين يعملون في حقيقة الأمر من أجل وضع حق البتّ في جوانب هامة من مصير المسلمين في أيدي طواغيت الإمبرياليين الأجانب، ومن أجل أن لا يكون حق البتّ فيها في أيدي المسلمين أنفسهم. إنّ هذا التماثل بين منافقي اليوم ومنافقي الأمس لا يمكن أن يغيب عن عقول المسلمين المعاصرين، إذا استثنينا المسلمين الذين يريدون أن يتخذوا من الإسلام موقف التعضية، وأن يقولوا إن ما يعني المسلمين اليوم من آيات القرآن الكريم هو الآيات التي تتناول الأمور الشخصية، مثل الوضوء والغسل والطلاق، وليس الآيات التي تتناول الأمور الكبرى، مثل وحدة الأمة وعلوّ كلمتها، كلمةِ الله، وصوْن هيبتها من الانحدار إلى مهاوي السفالة.

سدّ الوحدة

إنّ مركّب التبعية للأجانب الكافرين في منطقتنا العربية والإسلامية في أيامنا يتألف من عناصر كلها شرور ومفاسد. ولكن أقطع شرٍّ من هذه الشرور المركّبة هو أن التبعية صِنْوٌ للتفرق المستحكم في أمتنا وأنها عدوٌ لوحدتنا. لقد أمرَ الله تعالى بأن يكون المسلمون إخْوةً، والأخوّة تستلزم وحدة البلاد الإسلامية وحدةً حقيقيةً ثابتةً، وأن يعيش المسلمون كلّهم في تواصل وتضامن كأنهم أسرةٌ واحدة كبيرة. قال الله سبحانه: **﴿إنما المؤمنون إخوة﴾** [سورة الحجرات/10]. ولقد خلق الله تعالى الأمة العربية أمةً واحدةً أيضاً من قبل أن تجيء بعثةُ محمد ﷺ بآلاف السنين، ولم يخلقها عشرين أمةً متقاطعة متناحرةً. من الواضح أنّ هدفاً أساسياً كبيراً من الأهداف التي جاء الإسلام من أجل تحقيقها هو توحيد المسلمين في حياتهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية. ومن الواضح أيضاً أن الله تعالى عندما أوجد العرب منذ البداية جعل لهم لساناً واحداً وأصْلاً إثنيًّا واحداً لكي يظلّوا أمةً

واحدة على الدوام. ولكن الإمبرياليين يصرّون منذ نهاية القرن الماضي على تجزئة الأمة وفصل أقطارها بعضها عن بعض. وقد استمرّ الصراع منذ ذلك الوقت، وظلّ الإمبرياليون يحيكون المؤامرات ويدسّون الدسائس ويحرّكون الجيوش من أجل منع العرب من تحقيق وحدتهم، ومن أجل منع المسلمين المعاصرين من تنفيذ أمْرِ الله الذي فرض عليهم أن يعيشوا حياة الأخوّة.

إنّ الوحدة هي إرادة أجيال العرب والمسلمين المعاصرين، ولكن إرادة الإمبرياليين وأتْباعهم التي يحاولون فرضها على أمة العرب وعلى المسلمين، هي أن يظلّوا في حالٍ من التشرذم والتجزئة السياسية والاقتصادية. ونتيجة التعارض بين الإرادتين هي الصراع بشأن الوحدة الذي تميّز به تاريخ منطقتنا العربية والإسلامية طيلة القرن الحالي، ولكنه صراع لم يصلْ بنا إلى هدفنا حتى الآن، لأن الطرف الإمبريالي يعتمد على القوة من أجل منعنا من بلوغه. فلو أن الحاكم كان عالماً تحكمه شريعة الأمم المتحدة لكان الحل المنطقي السلمي لهذا النزاع مع الإمبرياليين هو عرضه على هذه الهيئة الدولية لكي تبتّ فيه، ولكانت طريقة حلّ النزاع سلماً هي إجراء استفتاء عامٍ في بلاد العالم العربي من المحيط إلى الخليج على خيار إقامة الوحدة العربية الشاملة. وهذا اقتراح لن تجرؤ مجالس هيئة الأمم المتحدة على النظر فيه أو الأخذ به، لأن الإمبرياليين يعرفون أن نتيجة الاستفتاء العام ستكون الموافقةَ الشعبية على الوحدة العربية بنسبة تسعين في المئة.

ولو أن العرب والمسلمين رجعوا إلى قرآنهم لكي يعرفوا منه الحلَّ الأمثل لهذه المشكلة لوجدوا أن الحلّ الذي يأمرهم به الله هو أن يحموا عملية بناء «سد الوحدة» من عدوان الإمبرياليين بالوحدة، كما فعل ذو القرنين عندما حمى عملية بنائه لهيكل السد ضدّ هجمات يأجوج ومأجوج بقوّة جيشه الموحَّد، ولوجدوا أيضاً في القرآن الكريم أنّ كل مواجهة من هذا النوع تستلزم أولاً إعداد القوة العسكرية والقوة من كل نوع آخر. هذا هو الحلّ الأمثل للمشكلة، وأما تسويف المسوّفين ووساطات المعتدلين وصداقات «أصدقاء الإمبرياليين من العرب والمسلمين»، فإنها لن تأتينا بالحل المطلوب لمشكلة بناء الوحدة العربية والإسلامية، لأن بناءَها

هو عملٌ ضدّ مصالح الإمبرياليين الابتزازية بالدرجة الأولى، ولذلك فإن الإمبرياليين لن يسمحوا لأصدقائهم بأن يقوموا بأي عمل مخلص بصددها. إنّ التسويف والمماطلة في إشادة صرح الوحدة إثمٌ عامٌ يرتكبه جميع العرب وجميع المسلمين، لأن أوضاع التجزئة لا يمكن أن تستقيم مع تعاليم القرآن الكريم، ولا مع النظام السياسي والاقتصادي والمعنوي الذي أراده الله تعالى لنا وبيّن لنا خطوطه العامة ضمنَ تلك التعاليم. قال الله عزَّ وجلّ: ﴿**إنّ هذه أمّتُكم أمّةً واحدة وأنا ربكم فاعبدونِ**﴾ [سورة الأنبياء/92]، ولم يقلْ سبحانه: تقطّعوا أمركم بينكم وكونوا إحدى وعشرين دولة عربية وخمسين دولة إسلامية.

إننا إذا أردنا أن نطيع حكم الله في شأن الوحدة العربية والإسلامية يتوجّب علينا أولاً أن نستحضر كل آيات القرآن الكريم التي تتناول هذا الشأن بالذات، وكذلك الآيات التي تحتوي هذا الشأن مع شؤون أخرى في حكم واحد، وأن ندرسها دراسة معمّقة. إن تلك الآيات تبيّن لنا أنّ الأعمال الكبيرة الهادفة إلى بناء الوحدة العربية والإسلامية هي أحبُّ الأعمال السياسية والثقافية إلى الله تعالى وأشرفُها؛ فقد أمر الله سبحانه بإقامة الوحدة في عهد الإسلام الأول وفي كل عهد وزمان؛ لأن العمل الجمعي من أجل إعلاء كلمة الله في الأرض لا يمكن أن يُكتَب له النجاح إلّا بهذه الوحدة، والغاية من إعلاء كلمة الله في الأرض هي صنع الخير لجميع المسلين أولاً ولكل الإنسانية ثانياً. إنّ هذه العلاقة السببية بين بناء صرح الوحدة وبين تحقيق الخير العام للمسلمين وللإنسانية واضحةٌ في قول الله تعالى: ﴿**كنتم خير أمة أُخرجتْ للناس تأمرون بالمعروف وتنهوْن عن المنكر وتؤمنون بالله**﴾ [سورة آل عمران/110]، لأن صفة الخيرية في هذه الآية ملازمة لكينونة الأمة، أي لالتحام أجزائها في دولة واحدة، ولا تتفق مع تفرّق الأمة في خمسين دولة على هوى أعداء الله وأعداء الأمة. ولا يكون تشكيل الأمة الواحدة من الأجزاء حقيقياً إلّا إذا أصبحت للأمة قيادة واحدة وجيش واحد ونظام تربوي وثقافي واحد وقوّة موحّدة واقتصاد موحّد. إنّ زمن فعل الكينونة الذي تلازمه الخيرية في هذه الآية يشمل الحاضر والمستقبل، إنه يشمل كل زمن يأتي بعد أن أخرجتْ يدُ الله هذه الأمة للإنسانية، وهكذا فإن الآية تقول للمسلمين إنهم سوف يكونون خير الأمم في

مجال تقديم الخير للبشرية بشرط أن يحافظوا على كيان الأمة الموحَّد، وبشرط أن يكون نظام أمتهم قائماً على قاعدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذا الشرط الثاني له مدلول أعمّ وأشمل من المعنى الظاهر في العبارة، لأن مدلول هذا الشرط هو العمل الإيجابي الهادف إلى ترقية الحياة البشرية عموماً، بما في ذلك الأقوال الإيجابية والكتابات الإيجابية؛ ومعلومٌ أن الأمة لا تستطيع أن ترقّي حياة غيرها من الأمم إلّا بعد أن ترقي حياتها هي، وهي لا تستطيع أن ترقّي حياتها قبل أن تحقق كيانها الأصيل ببناء وحدتها بناءً قوياً، التزاماً منها بعهد المسلمين مع الله تعالى.

محاربة الإمبرياليين للوحدة

إن قادة الدول الإمبريالية الطامعة يحاربون الوحدة العربية والوحدة الإسلامية منذ أكثر من قرن من الزمان، ويناصبون أنصارهما العداء لأسباب كثيرة، يأتي في مقدّمتها أن إقامة العرب والمسلمين للكيان الموحَّد القوي سوف يضع حدًّا لسيطرة الدول الإمبريالية على كل ما يهمّهم إبقاؤه تحت سيطرتهم في البلاد العربية والإسلامية، بما في ذلك العقول والثقافة والقواعد الاستراتيجية والثروات الطبيعية المهمة والأموال. إنّ أذرع أخطبوط السيطرة الإمبريالية كثيرةُ العدد، ولا يتسع المجال هنا لبيان تفاصيل عملها. ولكن الدوافع العامة للتسلط الإمبريالي يمكن أن تتضح من بيان تفصيل شكلٍ واحدٍ من أشكاله، وهو التسلط في مجال التبادل التجاري، الذي هو جزء صغير من التسلط الاقتصادي. إن التبادل التجاري بين دول العالم في الوقت الحاضر يقوم في غالبيته على مبدأ استئثار الأقوى تسليحاً بالقسم الأكبر من فوائد عملية التبادل التجاري، فالقويّ يصرّ على إعطاء سعر منخفض للمواد التي يشتريها من الأضعف، وعلى أخذ سعر مرتفع للمواد التي يبيعها إلى الأضعف. وليس هذا فحسب، وإنما يتحكّم الأقْوى بجوانب أخرى كثيرة من عملية التبادل التجاري بينه وبين الأضعف، بطرقٍ يهدف فيها إلى أن يزداد هو قوّةً وثراءً على حساب الأضعف، وإلى أن يزداد الأضعفُ ضعفاً وفقراً، مثل الجوانب المتعلقة بأنواع المواد، ودرجات الجودة التي تتميز بها، ووجوه

الاستعمال التي يمكن أن توضع فيها. لقد وصل التحكّم في الآونة الأخيرة، مثلاً، إلى حدّ فرض الدولة القوية حظراً على كل دول العالم التي تنتج قطع غيار لآلات مصانع السلع المدنية، مثل آلات مصانع الإسمنت، يمنع تلك الدول من بيع قطع غيار ذات قياسات معيّنة إلى دول الشرق الأوسط العربية والإسلامية، وقد جاء هذا علاوةً على حظرهم بيع الأسلحة لدولنا، ليس من الدول الإمبريالية فقط، وإنما من كافة الدول المنتجة للأسلحة.

إن محاربة الإمبرياليين لكل عملٍ وحدوي عربي أو إسلامي قد بلغتْ درجةً من الحقد والكيد لا يمكن تصوّر مثلها أبداً، مبعثه أنّ الإمبرياليين أدركوا أن قيام الوحدة العربية أو الوحدة الإسلامية سوف يلغي جميع المكاسب المادية والمعنوية الابتزازية الضخمة، التي يجنونها من فرض سيطرتهم على العرب والمسلمين، حتى وإنْ كانت تلك الوحدة جزئية. وهكذا فإن الإمبريالية الأمريكية ومعها حليفاتها اختارت أنْ تدفع ثمناً مالياً باهظاً جدا، وأن تستمر بهذا الإنفاق الضخم منذ خمسين سنة حتى الآن، من أجل أن تنشىء «مربضاً واسعاً للمدفعية المضادة للوحدة» في قلب العالم العربي، لكي تطلق منه القذائف التي تهدم كل جزءٍ من سدّ الوحدة العربية فورَ شروع العرب ببنائه. ذلك المربض المدفعي الأمريكي الواسع هو أرض فلسطين والجولان وجنوب لبنان. أما الثمن الباهظ الذي أنفقته أمريكا وحلفاؤها، وسوف تستمر في إنفاق مثله من المبالغ الضخمة إلى ما شاء الله، فإن العالم يسمع عنه في كل يوم تفاصيل جديدة تثير أشدّ الغضب في النفوس غير المريضة التي تفهم الأمور الخطيرة، وتدرك مراميها البعيدة والقريبة. لقد قرأ الناس وسمعوا، على سبيل المثال، أقوالاً وقحة صرّح بها رئيس دولة «مربض المدفعية» هرتزوك لمجلة إسبانية في الأسبوع الأخير من شهر مارس من عام 1992، تأويلها أنه يفتخر بأن جيش إسرائيل كله هو جيش مرتزق تستأجره الولايات المتحدة الأمريكية. فقد قال إنّ قيمة المساعدات العسكرية الأمريكية لإسرائيل البالغة مليارين ونصف المليار من الدولارات لكل عام هي استثمار أمريكي مربح لأمريكا، لأن الحكومة الأمريكية لو لم يكن لها هذا الجيش المرتزق لاحتاجت إلى عدد مماثل من الجنود الأمريكيين يقيمون على أراضي منطقة الشرق الأوسط وعلى

مياهها، ولتحملت نفقاتٍ لهذه الإقامة تزيد ثلاث مرات على ما تدفعه للإسرائيليين من مساعدات عسكرية.

ينبغي علينا أن نستقصي بعض المعاني العميقة لهذا التصريح الوقح، المتصلة بالحقد الدفين منذ آلاف السنين، الذي يوجّهه الصليبيون الجدد ضدّنا بطريقة جديدة في هذه الفترة التاريخية، والمعاني المتصلة أيضاً بهول الهلاك الشديد المدبَّر لنا من قِبل القوى الإمبريالية. المعنى الخطير الأول يتعلق بمكان تركز الجيش المرتزق. لقد شهد التاريخ الإنساني حالات كثيرة من استئجار الدول الغنيّة جنوداً من المرتزقة، ولكن أولئك المرتزقة كانوا يتركّزون في الدولة الغنية التي استأجرتْهم، لكي يدافعوا عنها، أو ينطلقو منها بقيادةٍ من عسكرييها لمهاجمة دولٍ أخرى. وأما في حالة الجيش الإسرائيلي فإنه جيشٌ استأجرته أمريكا ولم تقنع بأقل من اغتصاب أرضٍ عربيةٍ واسعة وتشريد شعبها، لكي يقيم الجيش المرتزق فوقها إقامةً دائمة، ولكي يتخذ فيها شكل دولة تبدو مستقلة، ولكنها في الحقيقة ولاية أمريكية قائمة على أرض مغتصبة في بلادنا، وهذه الإقامة الدائمة تعني اضطرار أمريكا وإسرائيل إلى أن تتّبعا سياسة دائمة قائمة على توجيه التهديد للأمة العربية كلها وللأمة الإسلامية، وفي هذا السياق ذاته كان الإرهابي إسحاق شامير قد صرّح قبل بضع سنوات بأن إسرائيل هي عبارة عن حاملة طائرات كبيرة تستعملها الولايات المتحدة، وهو تصريح يحمل معنىً مماثلاً لمعنى تصريح هرتزوك، ولكنه لا يعبّر إلا عن جزء من الحالة الكارثية التي تريدها أمريكا للعرب وللمسلمين، لأن حاملة الطائرات ترسو على جزء من البحر، وأما الجيش الأمريكي المرتزق الذي يحمل شعار «إسرائيل» زوراً وكذباً فإنه يحتل الأراضي العربية، ويتوسع في احتلاله لها، ويفرّغها من أصحابها العرب تدريجياً.

والمعنى الخطير الثاني الذي ينطوي عليه تصريح هرتزوك المذكور يتعلق بحجم الإنفاق الضخم الذي تنفقه أمريكا على «دولة الجيش المرتزق» أو «مربض المدفعية الواسع». إنّ مبلغ المليارين ونصف المليار من الدولارات في كل سنة هو مبلغ هائل في ضخامته، فلا يتصوّر الإنسان مدى فظاعة إقدام حكومة من البشر

على إهداره من أموال شعبها، إلّا إذا كانت حقيقة الأمر هي أنها تبتزه من شعب آخر مصاب بالغفلة وأنّ دوْرها في العملية هو دوْر الوسيط، ولكن المصيبة أكبر من ذلك بكثير. فهرتزوك يحدّد مبلغ المليارين ونصف المليار من الدولارات بأنه حصة إسرائيل من المساعدات العسكرية السنوية، والدنيا كلها تعرف أن هناك مساعدات اقتصادية سنوية لإسرائيل أكبر في حجمها من المساعدات العسكرية المذكورة، وأن هناك أيضاً مساعدات من أنواع أخرى، مثل المساعدات التي تخصصها الحكومة الأمريكية لإسرائيل، من أجل تسديد نفقات نقل المهاجرين اليهود من شتّى أنحاء العالم وبناء المستوطنات لهم على أرضنا المحتلة، وتعرف الدنيا أيضاً أنّ هناك مساعدات أخرى تبقى مستورة، وأن الحكومة الأمريكية تخفّض أرقام مبالغ مساعداتها لإسرائيل التي تعلن عنها، وذلك بقصد تخفيض شدّة الصدمة، التي يتلقى بها الشعب الأمريكي والشعوب الأخرى المعنيّة أنباء هذه المساعدات المشينة، وعلينا أن نتذكر أن هذا الضخّ الشديد للأموال من أمريكا ومن حليفاتها ظلّ مستمراً من غير توقف منذ حوالي خمسين سنة حتى الآن.

عند هذا الحدّ، يجب علينا أن نعطي المعنى الحقيقي الذي تدلّ عليه سعة مساحة القاعدة العسكرية التي أنشأتها أمريكا فوق أرضنا العربية المحتلة، والتي سميتُها «مربض المدفعية الواسع»، ويدلّ عليه أيضاً حجم الإنفاق الهائل الذي يفوق الخيال، والذي يتحمل جزءاً منه بشكل صريح شعب أمريكا على الدوام، وشعوب بعض حليفاتها الأوروبيات وغير الأوروبيات في بعض الأحيان، وتتحمل جزءاً كبيراً منه شعوب بعض الدول العربية بشكل غير صريح وغير مباشر. إنّ الفكرة الشائعة بين الناس في مختلف بلاد العالم، هي أن حاجة الولايات المتحدة وحليفاتها إلى حماية مصالحهم الابتزازية الاستغلالية في أقطار الشرق الأوسط، وعلى الأخص مصالحهم البترولية، هي التي تدفعهم إلى تقديم كل هذا الدعم لإسرائيل، لأنهم يرون أن وظيفتها هي حراسة هذه المصالح الاحتكارية الضخمة. ويرى الناس أن هذا الهدف الإمبريالي هو الذي يملي على الدول الإمبريالية الغربية، وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية اقتراف واحدة من أكبر المظالم الدولية في التاريخ، وهي التزامهم الثابت والمستمر بالمحافظة على التفوق

العسكري لإسرائيل على الدول العربية مجتمعة. وهذا الالتزام ليس سراً، لأن المسؤولين الأمريكيين يعلنونه على الملأ في كثير من المناسبات. ويشهد العالم على تمسّك أجهزة الحكم في أمريكا بتنفيذ هذه السياسية بحقدٍ ولؤم وشراسة ضدّ العرب والمسلمين، فينفّذون البرامج الضخمة لتوريد الأسلحة المتطوّرة من كل الأنواع إلى إسرائيل، ولإقامة مصانع في الأراضي العربية المحتلة لصناعة أنواع جديدة من الأسلحة، بأموالٍ مبتزة من دول العالم المختلفة.

ولكن هدف حماية إمدادات النفط وشرائه بأسعار ابتزازية ليس هو في الحقيقة الهدف الرئيس من إقامة «دولة مربض المدفعية»، إذْ إنّ العرب والإيرانيين راغبون كلهم في بيع نفطهم للدول الغربية. وإذا كانت الدعاية الإمبريالية الغربية تعلن أحياناً عن هذا الهدف الأول من إنشاء دولة إسرائيل المسخ، فإنهم إنما يفعلون ذلك من أجل التغطية على هدفيْن آخرين، كلّ واحد منهما أشدّ خطراً منه بعشرات المرّات، وهما الهدفان اللذان أحدثا في قادة الدول الإمبريالية هستيريا الحرص على إنشائها، وعلى ممارسة الطغيان والبغي على العرب والمسلمين مختفين وراءَها، وعلى إمدادها بكمياتٍ هائلة من وسائل العدوان التي لا يمكنها استيعابها، والتي لن تنقذها عندما تحين ساعة الانتقام العربي والإسلامي المقدّس. ونظراً لوجود ثلاثة أهداف كبيرة خبيثة وراء إقامة «مربض المدفعية الكبير» فإنّ هذا التصنيف للأهداف يستتبع منطقياً توفير ثلاثة أنواع من قذائف التدمير التي تُطلق من المربض، نوع منها لكل هدف من الأهداف الثلاثة. فالهدف الثاني هو هدف استبعاد الوحدة العربية والوحدة الإسلامية، وخنق التفكير فيهما وكبْت العمل من أجلهما. وقد أعدّ الإمبرياليون «قذائف تدمير» خاصة لضرب هدف «سدّ» الوحدة من مربض مدفعيتهم، أعدّوها إعداداً محكماً ورهيباً. والردّ العربي على هذه «القذائف» وعلى مدافعها لا يكون إلّا بالوحدة ذاتها. وأما تأخير إقامة الوحدة العربية والوحدة الإسلامية فإنه يعطي المبرِّر لهرتزوك ولأمثاله من قادة الصهيونيين للمباهاة عند أسيادهم الإمبرياليين بأن جيش المرتزقة الصهيوني قد نجح في إنجاز الهدف الثاني من إقامة إسرائيل، كما يعطيهم سنداً في مطالبتهم بمزيدٍ من أموال المعونات التي تبتزها لهم الحكومة الأمريكية من الشعب الأمريكي

ومن شعوب أخرى كثيرة في العالم. وأما استمرار وصول إمدادات النفط فإنه لا يقيم الدليل على نجاح جيش المرتزقة الإسرائيلي في أداء المهمات التي استؤجر من أجلها.

والهدف الثالث للإمبرياليين من إقامة «مربض المدفعية» في أرضنا المحتلة هو هدف استراتيجي سوف يكون أشدّ خطراً وبلاءً علينا إذا أعطيناهم الوقت الذي يلزمهم لتحقيقه، وهو هدف إبادة الأمة العربية وإنهاء الإسلام، وهذا الهدف الثالث يخفيه أصحابه وراء هدفهم الأول وهدفهم الثاني، مثلما يغطّون الهدف الثاني جزئياً بالهدف الأول. وهناك مؤشّرات كثيرة على وجود هذا الهدف الثالث في ملفّات خططهم العدوانية ضدّ العالم العربي والعالم الإسلامي، من بينها استخدامهم للجيش الإسرائيلي بالذات، على الرغم من أنه استخدام ظاهري، لحماية آليات أهدافهم الإمبريالية ولتشغيل هذه الآليات باتجاه فرض الهيمنة الإمبريالية على العرب والمسلمين، أولاً لأن هذا الجيش المرتزق الذي يستخدمونه هو من صنْع أيديهم وحدهم، صنعوه بقصد اتخاذه عصاً يلوّحون بها كلما أرادوا التهديد، وثانياً لأنه ينتمي إلى جماعة دينية كتب الله تعالى عليها الذلّة والمسكنة إلى يوم القيامة، وهذا الانتماء يجعل اختيارهم له أدعى إلى إلحاق الأذى الشديد بمعنويات العرب والمسلمين، قال الله تعالى: ﴿**ضُربتْ عليهم الذلّةُ أينما ثقفوا إلاّ بحبل من الله وحبلٍ من الناس وباؤوا بغضبٍ من الله وضُربتْ عليهم المسكنة**﴾ [سورة آل عمران/112]. وحقيقة الأمر فيما يتعلّق بفرض الهيمنة الإمبريالية على العرب والمسلمين هي أن حُماة إسرائيل الإمبرياليين هم الذين يقومون بمعظم الأعمال التي يتطلبها فرض الهيمنة، وليس الجيش الإسرائيلي ذاته. ثم إن مئات الملايين من الدولارات التي تخصّصها الحكومة الأمريكية في كل سنة لمساعدة الصهيونية العالمية على تنفيذ مشروع الاستيطان بالذات هي مساعدة لئيمة لها معنىً خطيرٌ جداً، وهو أن هذه الأعداد الإضافية من الجنود الصهيونيين المرتزقة الذين تجلبهم من أنحاء العالم المختلفة إلى أرضنا المحتلة هم جنود لأمريكا ذاتها، وأنّ لدى أمريكا أهدافاً أكثر وأشمل من الأهداف التي نفّذتْها حتى الآن في منطقتنا، فما هي هذه الأهداف التي تحرص أمريكا كل هذا الحرص على جلبهم من أجل تنفيذها؟

«سدود» داخل النفوس

نوعٌ آخر من السدود اللازمة لصدّ عدوان المعتدين على الأمة العربية وعلى الإسلام هو سدّ القوة الروحية الذاتية في داخل نفوس الأفراد العرب والمسلمين. إنّ التهديد الإمبريالي الحالي لجميع بلاد العروبة والإسلام كبير جداً، وسدّ وحدة العرب والمسلمين كفيلٌ بأن يدرأ كل هذه الأخطار عن حدود منطقتنا، وبأن يحفظ الأمة من الفناء، وبأن يحفظ حضارتها من الانهيار. إنّ هذا العدوان كامنٌ في فطرة كل إنسان وفي فطرة كل حيوان منذ بدء الخليقة، مع تفاوتٍ في درجاته، وحتى كل خليّةٍ حيّةٍ إنسانيةٍ أو حيوانيةٍ يجري في داخلها صراعٌ مستمرٌ بين بعض عناصرها والبعض الآخر. ولذلك فإنّ العدوان لا يمكن أن توقفه دعاياتُ الإمبرياليين الكاذبة ولا مؤامراتُهم، وإنما يمكننا أن نردّه عن حدودنا بقوّة أمتنا المتمثلة في قوّة «سدودها الدفاعية» وبعزيمة نفوس أفرادها وبقوّة أرواحهم.

وينبغي أن يكون الدافع الأول إلى الاهتمام ببناء سدود القوة في الأمة وفي الأفراد، الاعتقاد الراسخ بأن المعركة الفاصلة التي سوف تنهي عدوان الإمبرياليين الراهن على فلسطين وعلى ما حوْلها قادمةٌ لا محالة، لأنها قَدَرٌ من الله تعالى. وسوف يكون لهذا الاعتقاد الراسخ تأثيره الكبير باتجاه مضاعفة العمل ومضاعفة التصميم على إحراز النصر المبين، لأن رسوخ هذا الاعتقاد سوف يقوّي اتصال الأمة مع الله تعالى، فتتضاعف طاقات قوّتها الروحية الدافعة نحو العمل والجهاد، كما بيّن الله تعالى في معرض التنديد بمواقف المنافقين والعملاء والذين في قلوبهم مرض من بين المسلمين في كلّ العصور، الذين «يسارعون» في الكفار ﴿**يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة، فعسى اللّهُ أن يأتي بالفتح أوْ أمرٍ من عنده فيصبحوا على ما أسرّوا في أنفسهم نادمين**﴾ [سورة المائدة/52]. إنّ ما بقي من أصل بعض أسفار التوراة والإنجيل، من بعد التزوير والتحريف الذي أعملته أيدي الصهيونيين فيهما، يشير إلى هذه المعركة الفاصلة الموعودة ويسميها «الملحمة الكبرى». إن «سفر الرؤيا»، على سبيل المثال، يصف الهلع والخوف الذي سوف يتملك جموع قوى العدوان الغربية التي ستحتشد لمحاربتنا فوق أرضنا في بلاد الشام، ويصف

هزيمتهم في نهاية المعركة، فيقول: «وملوك الأرض والعظماء والأغنياء والأمراء والأقوياء وكلُّ عبدٍ وكلُّ حرٍّ أخفوا أنفسهم في المغاور وبين صخور الجبال، وهم يقولون للجبال والصخور: أسقطي علينا واخفينا من وجه الجالس على العرش ومن غَضَب الحَمَل. إنّ يوم الغضب العظيم قد جاء، ومَنْ يَقْوَى على الوقوف أمامه؟» (الرؤيا: 17/6). إن الله وحده هو الذي يعلم طولَ المدة التي تفصلنا عن ذلك اليوم المجيد، ولكنّ منطق الحياة البشرية كلّها يقول إن الله تعالى سوف يأمر بطلوع فجر يوم هذا الانتصار الكبير لأمة الإسلام، إن شاء الله، عندما تبني أمتنا قريباً سدود قوّتها، وعندما يصبح سدّ القوة الروحية في داخل نفس الإنسان العربي ونفس الإنسان المسلم أرسخَ من الجبال، أيْ عندما يتحول العربي والمسلم من «الحمل» الذي ارتسمت صورته في أذهان المعتدين الإمبرياليين، إلى ليْثٍ يأبى إلّا أن يمزّق مَنْ يقترب من عرينه من أصحاب النوايا العدوانية. وعندما يأذن الله تعالى بحلول ذلك اليوم المجيد، فلن تنفع المعتدين الإمبرياليين أجهزة مخابراتهم وتجسّسهم، ولن ينفعهم العملاء العرب والمسلمون الذين أوْكلوا إليهم في الفترة السابقة أمْرَ تثبيطِ عزائم المسلمين وتوهين قواهم وتحويلهم إلى متسكعين ولاهين ومتسوّلين.